

# وظيفة العلماء المسلمين (Muslim Scientist)

## فى القرن الخامس عشر الهجرى

الدكتور أبو الفضل بخت روان

الكلية الرسمية فى لندى كوتل

الاسم الثانى للعلم Science هو الحقيقة وتعبر الحقيقة بالعلم أحيانا .  
وكل شىء فى الكون حقيقة فى نفسه ومن شأن الانسان ان يبتغى الحقيقة مهما  
كانت أو تكون فى مكان ما . واذا ينالها فيفرح ويرتاح بها ومن المعلوم ان وليدا اذا  
فتح عينيه يرى ما حوله فنجده مبتغيا لتلك الحقيقة بفضل وجدانه الفطرى وجبلته  
الطبيعية يميز الحق من الباطل ويتخذ الحق ويرفض الباطل لأنه مكلف من عند الله  
بأن يفعل كذلك، وخير دليل على ما قلنا تميز بين ثدى أمه وأصابعها اذا وضعت  
فى فيه فهو يدرك أن الأول هو الحق والثانى هو الباطل.

والحيوان ليس بأقل ادراك من الانسان فى هذا المجال ولو نظرنا فى  
الطيور وامتحنها بالحبوب الطبيعية مثل الحمص ، والحبوب الاصطناعية من  
الحديد لوجدناها متخذة للحقيقة ورافضة لغيرها.

وهذا العمل جار وسار فى الجمادات كذلك، مثال ذلك أن الميكانيكى

لا يقدر بتلصيق حجر مع خشب لأنها يختلفان في الاصل والحقيقة كل منهما بطلب الحقيقة أى جنسه والحجر بالنسبة الى الخشب ليس بحقيقة وبالعكس وبعد هذا التمهيد القصير نعود الى موضوعنا.

فالحقيقة الكبرى أمام المسلمين خاصة وغيرهم عامة هي ذات الله عزوجل والوصول اليها مطلوب اما مباشرة أو غير مباشرة. عند كل من يخفق قلبه ويضطره وجدانه الى ذلك ومسئولية العلم (Science) هي أرشاد الناس الى هدفهم وايصالهم بالتدرج الى الحقيقة تلو الاخرى حتى الحقيقة الكبرى.

ومن العجيب ان العلماء لم يتوصلوا الى هذه الحقيقة لحد الآن لانهم يخترعون ويكشفون الأمور العلمية على أساس التفكير اليونانى وهذا هو تفكير وشئ يرشد صاحبه الى التشتت والانتشار ويبعده عن الحقيقة المطلوبة بعد المشرقين ، والعلماء المسلمون يتابعون تقاليدهم بلاهدى ولا يتخذون طريقا غير طريق اليونانيين المرتكزة فى الشرك والميشولوجية اليونانية.

ففى القرن الخامس عشر الهجرى سوف يعدل علماءنا المسلمون المناهج اليونانية ويطبّقون العلم على اساس الاسلام وينظمون تحقيقاتهم وبحوثهم فى ضوء الارشادات القرآنية الناطقة بالبحث والتحقيق والتي تشجع العالم كله على الابتكار والاختراع ليتوصل الى الحقائق الهائلة والمدهشة والتي لم يبلغ اليها أحد من العلماء . وفى هذا القرن سوف يفسر علماءنا العلوم القرآنية (Quranic Sciences) التي لم يتعرض لها المسلمون الاوائل الا فى القرن الاول والثانى والثالث من الهجرة.

ونود ، ان نقدم بعض الآيات القرآنية التي ترشد علماءنا فى ميدان البحث

والاختراع ومنها :

(١) خلق السموات والأرض بالحق تعالى عما يشركون (٣ : ١٦) ان الله عزوجل «خلق الكون بالحق» أى بطريق علمى فعلىنا متابعة خلقه بنفس الطريق حتى نكون خلفاء فى الأرض.

(٢) «خلق السموات والأرض بالحق ان فى ذلك لآية للمؤمنين (٤٤ : ٢٩) المؤمنون هم العلماء الذين اتقوا ايمانهم فى خلق السموات والأرض بالطريق العلمى.

(٣) وفى الآية التالية أعلن الله تعالى باجل مسمى للكون كما يظن العلماء وهى «وما خلق الله السموات والأرض وما بينهما الا بالحق وأجل مسمى» (٣٠ : ٨)

(٤) «خلق السموات والأرض بالحق وصوركم فأحسن صوركم واليه المصير» (١٣ : ٦٤)

وفى الآية يشير الله عزوجل الى تكوين «الكون بالحق» اى بالطريق العلمى والشىء المهم هنا هو تصوير الانسان فى أحسن التصوير وهو نموذج عال فى عالم العلم والتكنولوجية. ومن شان العلماء ان يبذلوا جهودهم فى ميدان العلم حتى يتوصلوا الى انشاء شىء مثل الانسان.

والجدير بالذكر ان فى منطقة خويشكى بمحافظة بشاور، أنا شخصيا رأيت مكيئة لدفع المياه من السطح الأسفل الى السطح الاعلى وكانت تمشى وتجرى على طريق التنفس الانسانى بدون الكهرباء أو النفط أو غيرها من الوقود، وزودنا مراقبها بالمعلومات بأنها من اختراع علماء المانيا والذين ألقى القبض عليهم فى الهند خلال الحرب العالمية الثانية وكانت تلك المكيئة مشغولة منذ ٨٠ سنة.

(٥) «وخلق السموات والأرض بالحق ولتجزى كل نفس بما كسبت وهم لا يظلمون» (٤٢ : ٤٥)

والذين يبحثون عن الحق ويتفكرون فى انشاء الكون ويتبعون الحق ويدققون فى العلم فيجزئهم الله بقدر ما بذلوا جهودهم ماليا وروحيا.

(٦) ولونظرنا فى قضايا المسلمين وانحطاطهم تخلفهم فى مجال العلم والتكنولوجية لعرفنا ان عدم رعايتهم بالاختراع والابتكار سبب واضح من أسباب تدحرهم فى المجتمع العالمى ولو لم يعتنوا بهذا العمل الخلاقى فى القرون القادمة وعلى رأسها القرن الخامس عشر من الهجرة لأفناهم الله تعالى عن صفحة الدنيا ويأت بخير منهم كما يتحدانا الله :

«الم تر ان الله خلق السموات والأرض بالحق ان يشاء يذهبكم ويأت بخلق جديد» (١٩ : ١٤)

(٧) «وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما الا بالحق وأن الساعة لآتية فأصفح الصفح الجميل» (٨٥ : ٣٩)

ويظهر من الآية الكريمة كأن الله تعالى جعل الحق أى التحقيق العلمى أساسا للسلام وللصفح الجميل ، لاغرو ان من يقوم بالبحوث العلمية يتوصل الى النتائج المفيدة فى الاختراع ، وعندما ينتشر استنباطه فى انحاء العالم وأرجائه يكون ارتكاز الناس على المنطق الموحد ميسورا.

ومن هنا تتبدل شكوكهم وشبهاتهم فيما بينهم بالايقان  
وجدالهم بالسلم.

من ذا الذى سيقوم بهذا الواجب المحترم ؟ جوابنا العلماء  
المسلمون. متى ؟ فى القرن الخامس عشر الهجرى.

(٨) وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما لاعيين . وما خلقناهما  
الا بالحق ولكن أكثرهم لا يعلمون ..

وقول الله تعالى : «ولكن أكثرهم لا يعلمون ..» ان عدم الاعتناء  
بالعلم والتكنولوجية مانع كبير فى فهم الكون واذا لم يعرف احد  
صنعة كيف يعترف بصانعها ، ولهذا الغرض يحرض الله الناس  
على العلم وقد تجا هلنا هذه الحقيقة فى القرون الماضية فخرسنا  
خسارة هائلة وسوف يداوى علماؤنا هذا الخسران القومى فى  
القرن الخامس عشر الهجرى.

(٩) «لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان  
لا يسمعون بها أولئك كالانعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون»  
(٢٢: ٢٧)

هذا تحذير لعلماؤنا بأن يتوفروا الظروف لاستعمال القلب والبصر والسمع  
عبر خبراتهم العلمية والتكنولوجية وان يتوسعوا نطاق أجهزة البصر والسمع والقلب  
للعالم كله ، والا لنكونن من الغافلين والغافل اقبح من الكافر والظالم ، لانهما  
يعتبران من زمرة الانسان والغافل من الانعام بل أضلها.

واذا حقق ودقق علماؤنا الحقائق الكونية واستخرجوا واستنبطوا منها  
الوسائل الحيوية يملأون الدنيا سعادة واسعة ويسهل حل بعض المشاكل التى

يواجهها العالم من قبيل النفط والزراعة والصناعة والثروات المعدنية والتربية الجديدة والتسليح الجديد والاختراعات النووية المضادة للطاقات النووية الموجودة في العالم حاليا وذلك لاجل السلام والرخاء والامن الدولى.

أما مشكلة النفط سوف يحلها علماءنا في المستقبل القريب وذلك في القرن الخامس عشر الهجرى. أما عن طريق الطاقة الشمسية أو عن طريق الزراعة لأن بعض البلدان الغربية نجحت في استخدام الكحول مكان النفط والكحول يحصل من قصب السكر والنخيل أى التمور بمقدار وافر والجدير بالذكر هنا أن أكثر الدول الإسلامية زراعية وعلى رأسها باكستان وباستعدادها أن تزرع قصب السكر والنخيل بكمية متوفرة لهذا الغرض.

القرآن الكريم يشجعنا على احتضان الزراعة من أول يوم نزوله وخير دليل على ماقلنا هو قول الله عزوجل :

(١) «هو الذى أنزل من السماء ماء فأخرجنا به نبات كل شىء فأخرجنا منه خضرا نخرج منه حبا متراكبا ومن النخيل من طلعها قنوان دانية وجنات من أعناب والزيتون والرمان متشابها وغير متشابه انظر الى ثمره اذا أثمر وينعه ان فى ذلك لآيات لقوم يؤمنون» (٦) :

(١٢)

(٢) هو الذى أنزل من السماء ماء لكم منه شراب ومنه شجر فيه تسمون. وينبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل والأعناب ومن كل الثمرات ان فى ذلك لآية لقوم يتفكرون. وسخرلكم الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره ان فى ذلك لآيات لقوم يعقلون. (١٦: ٩ - ١٢)

(٣) وان لكم فى الانعام لعبرة نسقيكم مما فى بطونه من بين فرث ودم  
لينا خالصا سائغا للشاربين ومن ثمرات النخيل والاعناب تتخذون  
منه سكرا ورزقا حسنا ان فى ذلك لآية لقوم يعقلون. (١٦ : ٦٧)

أنظر كيف حرض الله تعالى علماءنا ووجههم الى تسخير الكون بما فيه  
الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم ، وجهت اليهم هذه الدعوة قبل ١٤٠٠هـ  
وشرع علماءنا الاوائل يعملون ويخترعون تلبية لهذه الدعوة فى مجال الكيمياء  
والفيزياء وعلم الحيوان والنبات وغيرها من العلوم. وكان حاليا من شأن المسلمين  
أن يكشفوا الحجاب عن القمر وعن الشمس والنجوم كما فعل غيرهم ولكنهم أبوا  
واستكبروا واصبحوا من الكسلانيين.

ان الطاقة الشمسية وتسخيرها مهم جدا جدا - ففى القرن الخامس عشر  
سوف يتوجه علماءنا الى استخدام هذه الطاقة التى هى اثن من كل شىء فى  
العالم ، كما يقول العلماء ان الطاقة الشمسية لو سخرت كاملة لنجح العالم كله من  
متاعب الجوع والفقر والجهل والمرض والتخلف لأن تسخير الطاقة الشمسية  
يكون تسخير المناخ الجوى من البرودة والحرارة وتسخير السحاب الممطر والصالح  
للزراعة وهلم جرا.

أما الدول المتقدمة حظيت بنصيبها من الطاقة الشمسية ولا تزال تحظى بها بما  
فيه أفران الحديد والمعامل التى بعضها نصبت لتحلية المياه البحرية ولحصول  
المياه النقية فى البلدان المجاورة للبحار ، واستخدم علماء يابان تلك العلاقة فى  
تسخين المياه وتدفئة البيوت بها ، واخترعوا بطاريات السيارات لتحل هذه  
البطاريات محل النفط هذا من ناحية حرارة الشمس.

أما ضوئها المشار اليه فى القرآن «هو الذى جعل الشمس ضياء والقمر

نورا وقدره منازل . . . . . (١٠ : ٥)

رأيت يا أخى العالم أن الله تعالى قد أخبر الانسانية منذ ١٤٠٠ قرن بأن القمر مستفيد من الشمس فى نوره وللقمر تأثير عميق فى أحوال الكون منها مد البحر وجزره ونضج الحرث وينعه.

أما الشمس بمثابة مركز للكون وتتأثر بالأشياء الكونية مباشرة وغير مباشرة ولضوئها ولحرارتها تدخل كامل فى تنظيم أمور الكون وعندما تنتهى وتغيب عن الدنيا فحينئذ تقوم القيامة.

وانى - كغير عالم بأسرارها - أقدم لكم قصة طريفة عن حقيقة ضوئها وهى : قبل ايام قليلة شاهدت على شاشة التلفزيون الباكستانى برنامج العالم الباكستانى الذى قد نجح فى انشاء المحطة الكهربائية الصغيرة وبامكانها ان تشتغل بضوء الشمس نهارا وليلا ، أما فى الليل عندما يغيب ضوء الشمس تعمل المحطة بالضوء المدخر من ضوئها فى النهار وصرح العالم بأن هذه المحطة سوف تزود بالكهرباء قرية لم تتجاوز بيوتها عن الفين وتستطيع القرية أن يستنير أهلها بالكهرباء لسحب المياه بالمضخة من الآبار وادارة المصانع الخفيفة . وهذه بداية فى نهاية قرن ١٤٠٠هـ ويوصل علماؤنا هذا الابتكار فى قرن ١٥٠٠هـ الى القرى الباكستانية خاصة والى قرى العالم الاسلامى عامة.

وأرضنا مليئة بالثروات الثمينة «اذا زلزلت الأرض زلزالها وأخرجت

الأرض ائقالها» (٩٨ : ١ و ٢)

وماهى ائقالها ؟ فى رأى هى ثرواتها.

ويعجبني قول يوسف عليه السلام «اجعلنى على خزائن الأرض انى



حفيظ عليم ، ويسرني ان اقدم تفسير هذه الآية المباركة الذي اورده شيخنا السيد ابوالحسن على الحسنى الندوى فى تأليفه قصص النبيين للأطفال ج ١ ، ص ٤٩ - ٥٠ وهو كان يوسف يعلم أن الأمانة قليلة فى الناس وكان يوسف يعلم أن الخيانة كثيرة فى الناس ، وكان يوسف يرى ان الناس يخونون فى أموال الله وكان يرى ان فى الأرض خزائن كثيرة ولكنها ضائعة ، انها ضائعة لأن الأمراء لا يخافون الله فيها ، فتأكل كلا بهم ولا يجد الناس ما يأكلون ، وتلبس بيوتهم ولا يجد الناس ما يلبسون ، ولا ينفع الناس بخزائن الأرض الا من كان حفيظا وعلينا . ومن كان حفيظا وما كان عليما لا يعلم اين خزائن الأرض وكيف ينتفع بها ، ومن كان عليما وما كان حفيظا يأكل منها ويخون فيها ، وكان يوسف حفيظا وعلينا . وكان يوسف لا يريد ان يترك الامراء يأكلون أموال الناس ، وكان يوسف لا يستحى من الحق شيئا ، فقال للملك : «اجعلنى على خزائن الأرض انى حفيظ عليم ..» هكذا كان يوسف امينا لخزائن أرض مصر واستراح الناس جدا وحمدوا الله (انتهى التفسير).

لأجل حسن عمله وحسن تدبره جعله الله تعالى حاكما وعالما ولما بلغ أشده آتياه حكما وعلما وكذلك نجزي المحسنين (١٢ : ٢٢) فحسن العمل ينتج حسن الجزاء.

والعلم فى مصطلح اليوم هو سائنس (Science) ومن واجبات علمائنا بأن يقضوا على المرض والجهل والفقر والتخلف فى قرن ١٥٠٠هـ. والانسان وخاصة المسلم والمؤمن الذى جعله الله خليفة فى الأرض يجب عليه ان يقوم بوظيفته ولا يبقى مريضا أو جاهلا أو فقيرا.

ومن زمان قديم أوضح لنا القرآن هذه النقطة حيث يقول : وقال لهم نبيهم ان الله قد بعث لكم طالوت ملكا قالوا : انى يكون له الملك علينا ونحن أحق بالملك منه ولم يؤت سعة من المال قال : ان الله اصطفاه عليكم وزاده بسطة

فى العلم والجسم ، والله يؤتى ملكه من يشاء والله واسع عليم (٢ : ٢٤٧)

وفى القرون الماضية صرف علماؤنا ورؤسائنا انظارهم عن الطرق التقدمية. وتخلفوا فى العلم والصناعة والتكنولوجية حتى استولى علينا الانكليز فى الهند وغيرهم فى الدول الاسلامية الأخرى وذلك بفضل مهارتهم فى العلم والتكنولوجية فأصبحنا محتلين ومستعمرين لهم وطال احتلالهم الى القرنين ورحم الله علينا فبعث فينا الزعماء كجمال الدين الافغانى ومحمد عبده ومحمد على جوهر ومهدى السودانى ومحمد اقبال ومصطفى كمال ومحمد على جناح وهم الذين حاولوا فى ايقاظ شعور المسلمين و تحرير بلادهم وحرصوا شعوبهم على الاتقان فى العلم والسعى لنيل التقدم فأسبغ عليهم الله نعمه ظاهرة وباطنة من النفط والغاز الطبيعى والذهب والفضة والزمرد والياقوت والمرجان واعطاهم فى بلادهم البحار الحارة الصالحة للملاحة فى كل فصل من السنة هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى بإمكانهم ان يستفيدوا من أسماكها ومعادنها ومياها.

هذه نبذة من الاقتراحات التى اقدمها الى علمائنا ليقوموا فى القرن الخامس عشر بانجازها ، والله ولى التوفيق.

★ ★ ★ ★ ★